تبرير الهروب

قضى الله عز وجل على الكون جميعه بالفناء، لكنه فطر مخلوقه الأكرم الإنسان على الصراع من أجل البقاء، والتفاني في محاولة الخلود. واختلفت طرائق الناس في سبيل ذلك قدداً، فمنهم من يعد النسل أنجع ما يحقق تلك الغاية، ومنهم من يسعى لها بمال يكسبه، أو علم غزير يورِّثه، واصطفى الله مكرمين، جمع لهم بين موجبات الخلود كافة.

ولمكانة الخلود عبر الحقب والقرون، امتن الله على نبيه بأن رفع ذكره، وجعله متردداً من العرش في السموات العلا، إلى أنحاء البسيطة التي كلف الإنسان بمهمة عمارتها، وعلى نبييه نوح وإبراهيم بأن جعل في ذريتهما النبوة والكتاب، وهي خصوصية وإن كانت في الآخرة أعلى مقاماً وأحسن نديا، إلا أنها أيضاً في الأولى شرف وذكر، إليه المنتهى.

إذا كان الأمر كذلك، فإنه لا تثريب على التقارير إن هي فرّت من قدر "الفناء" والانتحار إلى قدر "البقاء"، سيراً على نهج المصطفين الأخيار وبقية الأجداد ممن دافعوا مناياهم بما ملكت

أيديهم، بل إنهم أسرعوا نحو الموت في مواطن، لما استيقنوا أنه أفضل وسيلة للحياة والخلود.

أما قيمة المحتوى فإن ظن كاتب التقارير، أن القارئ سيجد فيها بعضاً مما يفيده، فهي ليست آراء شخصية له، ولا اجتهادات فردية، بل هي أفكار ومعلومات تعود إلى أكثر من ٣٠٠ مصدر، أوتي علماً اجتماعياً أو فكرياً أو سياسياً، يقتصر دور كاتبها في إعدادها وصياغتها في لغة صحافية مهنية، لا تضاهي مفردات طرفة بن العبد في مثل قوله: (سفنجة تبري لأزعر أربد)، ولا أحاجي بعض الروايات الرائجة، ولا لغة فتيان (الشات)، الذين يكتبون ما يشتهون، ولكن التقارير تبتغي بين ذلك سبيلاً. قارئها سيجد فيها رأي المسؤول والمثقف والمفكر والمهني والإنسان العادي، رجالاً ونساءً.

التقارير التي هربت من الفناء، بعد أن انقضت أوطار الصحف منها، لا تمثل وجهة نظر المحرر بالضرورة، سواء في مضمونها أو في اختيارها للنشر على هيئة كتاب، ففي أثناء إعدادها ابتداءً، جاءت مواكبة لحدث معين، يتطلب العمل المهني معالجته من زاوية معينة، ولما جاء الوقت لترشيح نماذج لنشرها في غلاف موحد، حاول كاتبها تقمص شخصية معظم شرائح القراء، ليختار المناسب بالنيابة عنهم. وبعد ذلك عرض على زملاء آخرين ما انتخب، وانتهوا إلى الذي بين أيديكم الآن.

ثم إن فكرة جمع هذه التقارير في غلاف واحد، حفز عليها أول الأمر، ملاحظة عدد من الزملاء أن ما ينقل منها على "الإنترنت" بعد نشره في الصحيفة، يلقى تفاعلاً كبيراً من القراء.

وقد علق على إحدى هذه التقارير لما نشرت في موقع "العربية نت" نحو ٢٧٠ شخصاً، من أصل ٤٠٠ ألف قارئ في حدود ٢٤ ساعة فقط! عندئذٍ أدركت أن صلاحية هذه التقارير لا يجوز أن تنتهي بنشرها في صحيفة سيارة مهما بلغ قراؤها كثرة.

وفي العرف الصحافي، تكتسب المادة أعلى مقامتها، "حينما تجمع بين متانة المعلومة، والصياغة المحترفة والمضمون الشائق". وهو المعيار الذي اتخذه المحرر للاختيار، فهل وفق؟

والمنة لله أولاً وآخراً، ثم للصحف التي مكنت المحرر من التدرب فيها والكتابة لها، ولدار العبيكان التي أعطت التقارير حق اللجوء الفكري في بلاطها، واحتضنتها بعد تهديدات الفناء لها بين ركام الدواليب، وشرائح أجهزة الكمبيوتر. ومع ذلك سيبقى جهد كل أولئك هباءً منثوراً إن لم يحظ العمل باهتمام القارئ، الذي يكرم الكاتب والناشر معاً، أو يُهين.

مصطفى الأنصاري

"محرر صحافي"

amustfa@hotmail.com